الإدراك في اللغة

(**الدّرك**) محركة: اللِّحاق.

أدركه لحقه، ورجل دراك ومدركة ومدرك

تداركوا: لحق آخرهم أولهم.

استدرك: الشيء بالشيء: حاول إدراكه به. وأدرك الشيء: بلغ وقته وانتهى، وفنى.

(**إدراكوا فيها جميعاً**): أصله تداركوا. (**بل إدارك علمهم في الآخرة**): جهلوا علمها، ولا علم لهم من أمرها... الخ»[1].

وجاء في المعجم الوسيط من معاني (**درك**) ما يلي:

«(**أدرك**) الشي: بلغ وقته. و- الثمر: نضج. و- الصبي: بلغ الحلم. وفلان: بلغ علمه أقصى الشيء. وماء البئر: وصل إلى دركها. و- الشيء: لحقه وبلغه وناله. و- الشيء ببصره: رآه. و- المعنى بعقله: فهمه...

(**تدارك**) القوم: أدّركوا. و- الأخبار: تتابعت. والشيء: أدركه. و- مافات: حاول إدراكه. و- الشيء بالشيء: أتبعه به.

---

(١) القاموس المحيط مادة (درك).

يقال: تدارك الخطأ بالصواب والذنب بالتوبة.

(الدَّرْك) اسم مصدر من الإدراك. وفي التنزيل العزيز ﴿لا تخاف دركاً ولا تخشى﴾[1].

يتبين مما سبق أن مادة (درك) وما تصرف منها تأتي على معانٍ عدة تدور أغلبها حول لحوق الشيء بالشيء وتتابعه، وإدراك شيء بواسطة آخر، وإدراك الصبي بلوغه الحلم ويعني ضمناً أنه في هذه المرحلة تنمو قواه المدركة فيتمكن من إدراك العلاقات بين الأشياء، وتعني أيضاً غزارة العلم وبلوغه أقصى مداه، وتعني الإدراك الحسي والمعنوي للأشياء، (**أدرك الشيء ببصره - والمعنى بعقله**) كما تعني الجهل وعدم القدرة على إدراك بعض الحقائق والمعاني، إلى غير ذلك من المعاني التي تستخدم فيها مادة (**درك**) للدلالة عليها.

---

(١) المعجم الوسيط (جـ ١ صـ ٢٨١) مادة (درك)

الإدراك في القرآن الكريم

لقد جاءت مادة الفعل (درك) في القرآن الكريم بصيغ متعددة (**أدركه ـ تدرك ـ يدرككم ـ يدركه ـ مدركون ـ ندركه ـ يدرك ـ دركاً ـ تداركه ـ إدارك ـ إداركو ـ الدرك ـ أدارك**)[1].

غير أنها لم تأت على صيغة المصدر (**إدراك**).

قال الله تعالى: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾[2].

إن لفظة (**إدارك**) في هذه الآية تعني قصور فهم عن إدراك أمر الآخرة وما يقع فيها من البعث والحشر والعرض والحساب واحتواء الكتاب لجميع الأعمال ما ظهر منها وما استتر والصراط والجنة والنار وما فيهما مما لا تدركه القلوب والأبصار.

وقد ترتب على قصور إدراكهم لما أنزل على رسول الله ﷺ أن جهلوا أمر الآخرة بالكلية.

يقول الشهيد سيد قطب في تفسير الآيات «بل إدارك علمهم في

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ مجمع اللغة العربية (صـ ٣٨٨).
(٢) سورة النمل آية: (٦٦).

الآخرة». ما انتهى إلى حدوده، وقصر عن الوصول إليها، ووقف دونها لا يبلغها.

﴿بل هم في شك منها﴾.

لا يستيقنون بمجيئها، بل أن يعرفوا موعدها، وينتظروا وقوعها.

﴿بل هم منها عمون﴾.

بل هم عنها في عمى، لا يبصرون من أمرها شيئاً، ولا يدركون من طبيعتها شيئاً»[1].

قال الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[2].

أن لفظة (**لا تدركه**) تعني نفي رؤية العباد لربهم بجارحة البصر في الحياة الدنيا، وأن لفظة (**يدرك**) تعني إحاطة علم الله سبحانه وتعالى بالعباد في جميع أحوالهم، وإطلاعه سبحانه وتعالى على جميع أفعالهم حتى خائنة الأعين وما انطبقت عليه الصدور، **ولا** تنفي الآية جواز رؤية المؤمنين لربهم في الجنة.

يقول الأمام الألوسي في روح المعاني بعد أن بين فساد مذهب المعتزلة في نفي رؤية المؤمنين لربهم (وقد يقال أيضاً المراد نفي الرؤية وقت عدم إذن الله تعالى للأبصار بالإدراك. والدليل على صحة إرادة هذا القيد هو أن إرادة الإبصار فعل من أفعال العبيد وكسب من كسبهم وقد ثبت بغير ما دليل أن العباد لا يقدرون على شيء ما من المقدورات إلا بإذن الله تعالى ومشيئته وتمكينه فلا تدركه الأبصار إلا بأذنه وهو المطلوب.

---

(١) في ظلال القرآن (جـ ٥ صـ ٢٦٦٢).

(٢) سورة الأنعام الآية: (١٠٣).

ويؤيد هذا البيان ويشيد أركانه أن (**لا تدركه الأبصار**) وقع بعد قوله سبحانه ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ ووجه التأييد أن الله تعالى أخبر بأنه على كل شيء وكيل.

أي متول لأموره، ومعلوم أن الإبصار من الأشياء وأن إدراكها من أمورها فهو سبحانه وتعالى متوليها ومتصرف فيها على حسب مشيئته فيفض عليها الإدراك ويأذن لها إذا شاء كيف شاء وعلى الحد الذي شاء ويقبضه عنها قبضاً كلياً أو جزئياً في أي وقت شاء وكيف شاء، ولا يخفى على هذا أنه غاية التمدح بالعزة والقهر والغلبة فإن من هو على كل شيء وكيل إذا لم تدركه الأبصار إلا بإذنه مع كونه يدرك الأبصار ولا تخفى عليه خافية كان ذلك غاية في عزته وقهره وكونه غالباً على أمره)[1].

---

(١) روح المعاني (جـ ٧ صـ ٢٤٦) للإمام الألوسي.

أنواع الإدراك

الإدراك نوعان (حسي ـ معنوي).

أما الإدراك الحسي فهو:

إدراك الشيء بواسطة البصر.

والإدراك المعنوي هو:

إدراك الشيء بواسطة البصيرة ـ أي بالقلب أو العقل أو بهما[1].

هذا وقد يجتمع النوعان في مدرك واحد. ذلك أن الإدراك عملية مركبة (**حسية ومعنوية**) وهذه العملية تعبر عن مستوى تصورنا للحياة والأحياء من حولنا، والإدراك بهذا المعنى يختلف من فرد إلى فرد، كما يختلف مع الفرد ذاته باختلاف حالاته، أو اختلاف أحوال موضوع الإدراك، وهو لهذا قابل للترقي دائماً وللتدني أحياناً.

إن إدراك الطفل للظواهر الطبيعية والنفسية والإجتماعية والسلوكية لا يتعدى الجانب المحسوس من كل ذلك، لكنه مع تقدمه في العمر ونموه العام فإن إدراكه لا يقف عند المحسوس المشاهد من

---

(١) انظر روح المعاني (جـ ٧ صـ ٢٤٥).

أي ظاهرة حياتية بل يضيف إليه إدراك بعض الجوانب المعنوية المرتبطة بالظاهرة التي شاهدها، ويستمر الإدراك المعنوي في الزيادة والتركيب مع تقدم عجلة النمو العام، ولهذا فإن إدراك المراهق يتمايز عن إدراك الطفل والصبي فمثلاً إدراك الطفل لظاهرة إجتماعية كتناول الطعام مع مجموعة من الناس والآداب المرعية أثناء تناوله، يتركز حول المشاهد التي تخضع لحواسه الظاهرة ولا يدرك ما وراء ذلك من قضايا اعتقادية وأصول تربوية وعلاقات اجتماعية ونفسية وأنها توجد مجتمعة في هذه الظاهرة ومثيلاتها.

روى الإمام مسلم بسنده المتصل عن وهب بن كيسان سمعه من عمر بن أبي سلمة: قال: كنت في حجر رسول الله ﷺ. وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي: «يا غلام سم الله وكل بيمينك. وكل مما يليك»[1].

إن إدراك الصبي لهذه الآداب يكون ساذجاً في البداية، فالطفل غير قادر على الإدراك الكامل لمعاني التسمية ومدى ارتباطها بأصول الإعتقاد، كما لا يدرك العلة الشرعية لتناول الطعام والشراب باليمين وتحريم تناوله بالشمال، كما لا يدرك الآثار النفسية والإجتماعية الناشئة على اضطراب الأيدي واختلافها في الإناء الواحد.

إن الإدراك المعنوي يستمر في الزيادة والتركيب مع تقدم عجلة النمو لذا فإن إدراك المراهق لهذه المعاني يختلف عن إدراكه لها في مرحلة الطفولة والصبا، فالمراهق المسلم يتناول طعامه وشرابه مبتدئاً بالتسمية فإذا نسيها قالها وسط الطعام أو آخره وهو في كل حالة من حالاته يدرك أن سائر النعم التي يرفل فيها من الله عز وجل فطعامه وشرابه وكساؤه وراحته وأمنه واستقراره كل ذلك نعمة من الله عز

(١) صحيح الإمام مسلم كتاب الأشربة ـ باب آداب الطعام.

وجل، موجبة لشكره وحسن عبادته.

إن إدراك المراهق يتمايز عن إدراك الطفل والصبي لجميع مظاهر الحياة، فإدراك الطفل لظاهرة إجتماعية كالزواج يتركز حول المشاهد التي تخضع لحواسه، فينحصر إدراكه في حفلة عقد القران والزفاف والزينات التي تقام لهذه المناسبة، وإدراكه لهذه الظاهرة نفسها في صباه تختلف عن إدراكه السابق نوعاً ما، فإنه يستنتج من تكرار هذه الظاهرة أن نظام الزوجية عامل أساسي في استمرار الوجود الإنساني، وينشأ هذا الإستنتاج بواسطة التعرف على الزوجية في الحيوانات من خلال موضوعات مادة العلوم التي يدرسها في المرحلة الإبتدائية.

أما إدراكه في مرحلة المراهقة فإنه يتمايز عنه في الطفولة والصبا، فتتسع دائرة مدركاته المعنوية، فيدرك أن نظام الزوجية عامل مشترك بين الكائنات الحية، كما يدرك سبب التجاذب بين الذكر والأنثى مع بداية هذه المرحلة بالذات، كما يدرك أن هذا النظام في حياة الإنسان يعتبر رباطاً قدسياً يربط أحد الزوجين بصاحبه في حياة مشتركة وآمال والآم مشتركة، ومواجهة مشتركة لمطالب الحياة في الحاضر والمستقبل، وأنه يتعين بهذا الرباط حقوق وواجبات يلتزم بها الزوجان.

قال الله تعالى: ﴿.. ولهنَ مِثْلُ الذَّي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وللرِّجالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

كما يدرك أن الوفاء بالحقوق والإلتزام بالواجبات دعامة أساسية للحياة الزوجية السعيدة، وأن الإخلال بشيء منها يعرض الحياة الزوجية لهزات عنيفة قد تنتهي بالطلاق، وقد يدرك أيضاً أن الإختيار

(١) سورة البقرة بعض آية: (٢٢٨).

الصحيح من أهم دعامات الإستقرار الأسري.

لقد أكد القرآن الكريم أهمية الإدراك البصري واعتبره أساساً هاماً لتوصيل المعلومات إلى العقل لإدراك العلاقات بين الأشياء المبصرة، وتمييزها وتحديد الفروق بينها تمهيداً للتعرف على بواطنها وأسرارها، وما تحويه من آيات عظام تشهد بوحدانية الخالق سبحانه.

قال الله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْباً * وَفَاكِهَةً وَأَباً * مَّتَاعاً لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾[1].

«هذه هي قصة الطعام. كلها من إبداع اليد ـ يد الخالق ـ التي أبدعت الإنسان، وليس فيها للإنسان يد يدعيها، في أي مرحلة من مراحلها، حتى الحبوب والبذوز التي يلقيها هو في الأرض... أنه لم يبدعها، ولم يبتدعها. والمعجزة في إنشائها إبتداء من وراء تصور الإنسان وإدراكه، والتربة واحدة بين يديه، ولكن البذور والحبوب منوعة، وكل منها يؤتى أكله في القطع المتجاورات من الأرض وكلها تسقى بماء واحد ولكن اليد المبدعة تنوع النبات وتنوع الثمار، وتحفظ في البذرة الصغيرة خصائص أمها التي ولدتها فتنقلها إلى بنتها التي تولدها.

كل أولئك في خفية عن الإنسان لا يعلم سرها ولا يقضي أمرها، ولا يستشار في شأن من شئونها»[2].

---

(١) سورة عبس الآيات من: (٢٤، ٣٢).

(٢) في ظلال القرآن (جـ ٦ صـ ٣٨٣٢).